الفصل الخامس

انتشار المخطوط العربي في الدول الغربية :

أما بالنسبة لحجم التراث العربي المخطوط فالتراث العربي المخطوط لا يزال مبعثرا في جميع أنحاء العالم في المكتبات العامة والخاصة والأكاديمية كالمتاحف والمساجد والأديرة ، ولم يعرف لحد الآن عدد هذه المخطوطات على وجه التحقيق والدقة سواء في المكتبات الأوربية والأمريكية ، ويقدر الأستاذ كوركيس عواد عدد المخطوطات المبعثرة في خزائن الكتب الأوربية حيث يقول إن المخطوطات العربية لا تقل عن ٦٠ ألف مخطوط هذا غير العدد الذي بأيدي الناس ويقول إن المكتبات الأمريكية التي زارها فيها ما لا يقل عن ٢٠ ألف مخطوط وإن استعمال عبارة لا تقل تعني إن الرقم غير دقيق .

ويقول هلموت إن في اسطنبول أكثر من ١٢٤ ألف مخطوط وفي تركيا بشكل عام أكثر من ٢٠٠ ألف مخطوط أما بيرسون فيقول إن ألمانيا تعد أغنى الأقطار الأوربية بالمخطوطات العربية وفيها نحو ١٤٢٥٠ مخطوطا وتليها بريطانيا وفيها ١٤ ألف مخطوط وفي روسيا نحو ١٢ ألف مخطوط إضافة إلى فرنسا ،إيطاليا ،هولندا ،النمسا ،اسبانيا ،بلغاريا ، ايرلندا ، والفاتيكان وفيها ما يقارب ٣ آلاف إلى ١٠ آلاف مخطوط .

فضلا عن ذلك إن الكثير من هذه المخطوطات قد تعرض للضياع والتلف والنهب نتيجة للكوارث الطبيعية والبشرية التي مرت بها الأمة العربية خلال النكبات التي تعرض لها الوطن العربي في عصور التدهور وبسبب الفتن والحروب والعوارض الطبيعية فقد وصل إلينا من هذه المؤلفات بشكل مخطوط عدد ضخم وهي الآن مبعثرة في المكتبات العامة والخاصة في مختلف أرجاء المعمورة ويقدرها أحد علماء المخطوطات ب ٣ ملايين مخطوط ،

وقد أنتبه الأوربيون إلى أهمية هذه المخطوطات التي تضم التراث الفكري للعرب القدامى فأخذوا يقتنون نوادرها ويعملون على تحقيقها ونشرها وفق الأصول العلمية وبشكل يسهل الاستفادة منها كما اهتموا بتنظيم الفهارس العراقية للتعريف بهذه المخطوطات التي تضمها خزائن كتبهم .

إن التراث العربي الإسلامي العظيم الذي تزخر به مكتبات العالم يتطلب بذل الجهد الصادق في سبيل جمعه وإعداده وحفظه وتحقيقه ونشره بطرق عصرية ليسهل تداوله بين الباحثين والدارسين .

أولا : (روسيا)

كيفية وصول المخطوطات العربية إلى (بطرسبرغ) :

إذ يشغل الاتحاد السوفيتي (روسيا) حاليا من حيث عدد المخطوطات العربية المتوفرة فيها المرتبة الرابعة في العالم عدا العالم العربي بعد تركيا والهند وإيران ويستدل من آخر المعطيات إن الاتحاد السوفيتي السابق يحوز ما يربو على أربعة وأربعين ألف مجلد عدا عن بضع عشرات الألوف من المحاضر والوثائق المدونة باللغة العربية .

و تعتبر سان بطرسبرغ هي مدينة مسيحية وإسلامية ، من أول الناس الذين قاموا ببناء سان بطرسبرغ كانوا الجاليات والعائلات الإسلامية من الأولغا ومن دول أخرى .

وفي مكتبات ومعاهد بطرسبرغ تمتلئ الخزائن العتيقة بكنوز الثقافة العربية حيث تتلهف الأيادي لتلمسها بغية غرف ما بداخلها من معاني وقيم فريدة عكست ثقافة العرب وتنوع إسهاماتهم في الطب والفلسفة والعلوم واللغة والجغرافيا والتاريخ وعلوم المنطق والفلك .

أعمال ابن سينا والفارابي والرازي والبخاري وأبو أحمد الغزالي والشيرازي وحمزة بن الحسن الأصبهاني وعمرو بن بحر الجاحظ والسمرقندي ، تشكل علامات فارقة أسهمت في تعريف الاختصاصين الروس بمختلف مجالات الحياة التي طرقها العرب في الزمن الغابر .

وتحتل أعمال الذبياني والمتنبي والفيروزآبادي وأبو الفرج علي الأصفهاني والقاسم بن علي الحريري وعبد الرحمن بن خلدون مكانة خاصة في الأمكنة التي تكتظ بها المخطوطات العربية في مكتبات ومعاهد بطرسبرغ والأثر الذي أحدثته في تلقف محتويات هذه الأعمال بالنسبة للاختصاصين الروس العاملين في حقول اللغة والأدب والفلسفة .

وإلى جانب وجود نسخ عديدة للقرآن نجد اهتماما خاص بالمخطوطات الأدبية الإسلامية وخاصة الكتاب الذي يعنى بالقصائد عن الأئمة الشيعة لمؤلفه صالح الحسين النجفي تحت عنوان (الدرر الغررية في نعت الأئمة الاثنا عشرية) كما نجد من مخطوطات القرن الثامن عشر مخطوطة تضم مقدمة لكتاب عن الإمام علي ، وثمة مؤلفان للكاتب البوصيري الذي كتب قصيدة البردة في القرن الثامن عشر وفيها آيات المديح بالنبي محمد (ص) .

ثانيا : (اسبانيا)

أ- مخطوطات مكتبة الاسكوريال : إن السبب في شهرة هذه المكتبة هي الذخائر التي تحتفظ بها من المخطوطات العربية وبعضها نسخ وحيدة في العالم إنها ذخائر يهتم بها الدارسون الغربيون أكثر من اهتمام العرب بها ولحسن الحظ ، وتحتوي المكتبة الآن على حوالي ٤٥٠٠٠ قطعة بين مجلد ومخطوط وخرائط ورسوم ومنحوتات ونقود والكثير منها يعود إلى القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ميلادي .

وقد تم جمع هذه المخطوطات من مناطق مختلفة من أسبانيا وخارجها وكان السفير ميندوثا في البندقية قد لعب دورا مهما في نقل الكثير من المخطوطات إلى الاسكوريال وحصلت المكتبة على كمية كبيرة من المخطوطات العربية تقدر بأربعة آلاف مخطوط عام ١٦١٢ بعد اختطاف سفينة السلطان السعدي مولاي زيدان عندما قام قائد السفينة الفرنسي الذي كلف بنقل هذه الكتب من مدينة اسفي إلى مدينة أغادير ثم هرب بها متجها نحو فرنسا وصادف أن اعترضته السفن الأسبانية وصادرت كل ما في السفينة بما فيها المخطوطات .

وهناك مجموعات أخرى أضيفت إلى المكتبة أيضا ومنها مكتبة كوندي لوكي ، وفي عام ١٦٧١ شب حريق في الاسكوريال أتى على آلاف المخطوطات ثم تعرضت مرة أخرى للتلف بسبب الحروب التي خاضتها اسبانيا في حربها ضد فرنسا .

لقد أهتم الكثيرون بدراسة وفهرسة مخطوطات الاسكوريال من بينهم الدكتور يوسف زيدان ومحمد سليمان والمستعربة الاسبانية اورورا كانت الأستاذة السابقة في جامعة اوتونوما في مدريد وآخرون ويختلف عدد المخطوطات في

الاسكوريال حسب الفهارس المعدة فالبعض يعدها الألفي مخطوط والبعض يصل بها إلى ثلاثة آلاف ، وكانت الملكة صوفيا ملكة أسبانيا قد أهدت قبل سنوات ميكروفيلم عن مخطوطات الاسكوريال إلى مكتبة الإسكندرية في مصر وهي مبادرة ثمينة وتستحق التقدير .

ب- مكتبة مملكة آرآغون : وفيها آلاف من المخطوطات العربية الأصلية تحتاج إلى صياغة الفهارس والتصوير والنشر وهناك سبعة عشر مدينة اسبانية وأهمها مدريد التي تحتفظ ب ١٩ موقعا توجد فيها مخطوطات عربية ، وغرناطة وفيها ١٧ موقعا و٦ في برشلونة و٢ في قرطبة بالإضافة إلى مدن عديدة أخرى مثل طليطلة وسرقسطة وسلمنقه وغيرها .

ثالثا : (ألمانيا – برلين)

تعتبر ألمانيا من الدول التي كان لها اهتمامات كبيرة في المشرق العربي ومغربه وما زالت والدليل على ذلك الجهود الجهود التي قام بها علماؤها ومستشرقوها عبر القرون الماضية ضمن رحلاتهم في عمق البلدان العربية للتعرف إلى حضارتها وعلمها وثقافتها .

ويضم القسم الشرقي في هذه المكتبة ما يقرب من ١٥ ألف وثيقة ومخطوطة أصلية ومنسوخة قيمتها لا تقدر بثمن ووضعت في صناديق تتوفر فيها الشروط المناخية المطلوبة من أجل المحافظة عليها من أي العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى تلفها ومن يريد الاطلاع على أي مخطوطة عليه تقديم طلب مسبق .

وأهم المخطوطات الموجودة في برلين نسخة من إنجيل جوتنيرج المزخرفة وأقدم كتاب خط باليد هو الكتاب القبطي للأحكام الإنجيلية وأقدم الكتب المطبوعة هو نص الكتاب البوذي من اليابان ويرجع إلى القرن الثامن الميلادي .

وفي القرن التاسع عشر أضيفت لها مجموعة المستشرق جلازر وجمعها خلال رحلته إلى اليمن مما رفع المخطوطات إلى ٦٥٠٠ مخطوطة .

يضم القسم الشرقي في هذه المكتبة ما يقرب من ١٥ ألف وثيقة ومخطوطة أصلية ومنسوخة قيمتها لا تقدر بثمن .

المجموعات المتواجدة تعود إلى أحقاب تاريخية مختلفة جمعت وأحضرت إلى المكتبة في فترات زمنية متعددة يتواجد أقدم هذه المجموعات في أقدم مركز لدراسات علم النحو واللغة العربية وفقهها وآدابها بمدينة (ليدن) الهولندية وعن طريق هولندا جاءت أول دفعة من المخطوطات باليد وكان ذلك مطلع القرن السابع عشر حيث ضمت هذه المجموعات المئات من الوثائق كتبها علماء مسلمون وجزء منها أعاد كتابتها ناسخون وخلال القرن التاسع عشر وصلت أكبر دفعة من المخطوطات بدأت مع الدبلوماسي الالماني هاينريش فريدريش فون ديتس وكان قنصلا بروسيا في القسطنطينية (تركيا) وفي القرن التاسع عشر أضيف إلى المجموعة مجموعة المستشرق جلازر وجمعها خلال رحلته إلى اليمن وهو أستاذ في علم اللغات والشعوب البدائية وعمل بشكل أساسي في سوريا مما رفع عدد المخطوطات بعد ذلك إلى ٦٥٠٠ مخطوطة والقليل أحضر من شمال أفريقيا وهناك الكثير من مصر ويعود إلى عهد المماليك أي قبل عام ١٥٠٠ ميلادي كذلك أليوس شبرتجر الذي عاش عشرات السنين في الهند حيث أهتم بالقصص والأحاديث النبوية الشريفة وأحضر معه مخطوطات باليد قديمة جدا في الحديث الشريف والتي كانت تجري في الدول الإسلامية سواء في علم البلاغة أو علم اللغة إضافة إلى نصوص قانونية بالغة الأهمية خاصة للباحثين ف العلوم الإسلامية وهناك جزء كبير من الأشعار لمجموعة من الشعراء المعروفين مثل المتنبي

وتحليل للمعلقات المشهورة وتم وضع أول كتالوج عام ١٨٩٩ وضم فقط مخطوطات يدوية تعود إلى ما قبل القرن التاسع عشر .